الموضوع والمنهج في البحث الأنثروبولوجي دعوة لتخطي الرؤى والتصورات الكلاسيكية.

الدكتور: رحاب مختار.
أستاذ محاضر، جامعة المسيلة.

الملخص

نسعى من خلال هذا المقال إلى تناول الموضوع والمنهج في الأبحاث الأنتروبولوجية برؤية معاصرة وذلك من أجل الاطلاع على بعض المستجدات الحاصلة في هذا المجال، إضافة إلى محاولة إزالة التصور الذي يرى من خلاله البعض على أن الأنتروبولوجيا هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة المجتمع البدائي فقط، وغيرها من التصورات الخاطئة وسنعمل على إبراز- كما ذكرت- أهم المستجدات التي حصلت في الموضوعات التي تهتم بها الأنتروبولوجيا بفروعها المختلفة، وأبرز المناهج والوسائل المعاصرة المستخدمة في ذلك، أملا أن نتخطى الحدود القديمة والدخول إلى ساحة البحث والتفكير الأنتروبولوجي المعاصر والوقوف على أهم مستجدا ته الحاصلة في العديد من جامعات العالم.

مقدمة:

يمكننا القول أن مجال البحث في الأنتروبولوجيا قد عرف بمرور الوقت تغيرا كبيرا، كان له تأثير على أسلوب ووسائل البحث الأنتروبولوجي، حيث أصبحت المفاهيم التقليدية والكلاسيكية التي كانت تعتمدها الأبحاث الأنتروبولوجية غير كافية أو بالأحرى قد تكون غير مناسبة أحيانا عند دراسة المجتمعات المعقدة.

فإذا كان الأنتروبولوجيون الأوائل قد ركزوا أبحاثهم ودراساتهم على المجتمعات والثقافات البدائية فنجد أن الأنتروبولوجيين المحدثين قد اتجهوا باهتماماتهم لدراسة الثقافات والمجتمعات المعاصرة المعقدة غير المتجانسة، وكان هذا ما شكل منطلقا لتطوير الأساليب والأدوات التي يستخدمها الباحث الأنتروبولوجي للقيام بالدراسة الحقلية.

أولا: أهمية التحقيق الميداني في البحث الأنتروبولوجي:

لا شك أن التحقيق الميداني يعد من الوسائل والطرائق الرئيسية التي ساهمت في تطوير البحث الأنتروبولوجي، فلو تتبعنا تاريخ بداية القيام بالدراسات الحقلية في مجال الأنتروبولوجيا –

خصوصا خلال العقود الأولى من القرن الماضي، نـدرك أن أثرهـا كان عميقا في ذلك.

وكمثال على ذلك نجد أن فرانس بواس F.Boas قد أمكنه التأسيس لمرحلة جديدة مـن البحـث الأنتروبولـوجي مـن خـلال التحقيقات الميدانية التي قام بها خـلال سـنوات 1942،1958 وكـان الجديـد الـذي قدمـه فـرانس بـواس تمثـل في القيـام بدراسـات مونوغرافية كبيرة كان لها تأثير على البحوث الأنتروبولوجية فيمـا بعد.

وفي فرنسا لمع نجم مارسيل موس M.Mauss الذي اسـتطاع أن يكون جيلا من الباحثين، تمكنوا من القيـام بدراسـات حقليـة، حيث استطاع مارسيل موس أن يعطـي مفهومـا جديـدا للظـاهرة الاجتماعية من خلال إبرازه أن هذه الأخيرة لها ارتباطات بظواهر أخرى ضمن نظام معين، متصورا الحياة الاجتماعية على أنها نظام من العلاقات، أي أن كـل جـزء مـن أجزائـه مـرتبط ضـمن كـل متكامل، "وكان مارسيل موس من خلال هـذه النظـرة الـشمولية للظـاهرة الاجتماعيـة، قـد اسـتطاع توجيـه مـسألة البحـث في الدراسات الأنتروبولوجية بصفة عامة." (1)

وإذا بحثنا عن جدوى وأهمية التحقيقات الميدانية في الدراسات والأبحاث الأنتروبولوجية، فيمكننا القول أنها تكمن في عملية جمع المعطيات انطلاقا من الواقع المدروس، مع التركيز على فهم المكونات والخصائص الاجتماعية والثقافية لمجتمع البحث، وكان مالينوفسكي Malinovisky قد وضع ثلاث مقاربات يمكن الباحث الاعتماد عليها عند جمع آراء الأفراد لمحاولة معرفتهم، وتتمثل هذه المقاربات[2]

- وصف التشكيلة الاجتماعية.
- الاستعانة بأمثلة حية من الحياة اليومية.
- الاستشهاد بآراء الأفراد عن طريق تسجيل وتقديم ما يقولون.

ثانيا: مراحل الدراسة الحقلية في البحث الأنتروبولوجي:

1- **مرحلة ما قبل الدراسة الحقلية** :وتتضمن النقاط الأساسية الآتية التي سأتطرق لها باختصار.

أ- تحديد الإشكالية، هدف البحث، تحديد المفاهيم في البحث، وضع الفروض، منهج البحث، أساليب جمع البيانات.

ب- الاستعداد للدراسة الحقلية وتتضمن: الاطلاع على التجارب الحقلية السابقة، وضع دليل العمل الحقلي، الإجراءات التمهيدية للدراسة.

2- **مرحلة الدراسة الحقلية** وتتضمن الخطوات الأساسية الآتية:

- ضرورة اطلاع الباحث واستذكاره لسلوكيات وأخلاقيات العمل الحقلي.خصوصا ما تعلق بالجانب الأخلاقي لعملية جمع البيانات.

- توظيف ما يناسب من أدوات البحث الأنتروبولوجي كأداة الملاحظة خصوصا الملاحظة بالمشاركة، المقابلة، الطرق الاسقاطية، تاريخ الحياة، الطريقة الجينيالوجية، استخدام الآلات والأجهزة الحديثة.

3- **مرحلة ما بعد الدراسة الحقلية:** وتتضمن الخطوات الآتية.

- تحليل البيانات وتفسيرها: وتتضمن هذه الخطوة الإجراءات الآتية:- مراحل تحليل البيانات الكيفية- الارتباط بين

تحليل وتفسير البيانات الكيفية-تحديد نماذج التحليل والتفسير للبيانات الكيفية- التركيز والربط بين النظريات المعتمدة في الدراسة والفروض وإبراز دورهما أثناء عملية التحليل والتفسير،- القيام بعملية التحليل والتفسير للبيانات الكيفية دون نسيان الاتجاه المنهجي المعتمد في البحث.

- تقرير الدراسة، وفيه يستوجب على الباحث التزام القواعد المنهجية المتبعة إضافة إلى ضرورة التزامه بأخلاقيات التي ينص عليها البحث الأنثربولوجي.

ثالثا:أدوات ومناهج البحث الأنتروبولوجي بين البدايات الأولى للدراسات الأنتروبولوجية والفترة المعاصرة.

بلا شك أن التحقيق الميداني كان ولا يزال يمثل الركيزة الأساسية للبحث الأنتروبولوجي، غير أن جيلا من الأنتروبولوجيين المعاصرين قد طوروا من وسائل وأدوات ومناهج الدراسة الحقلية في مجال الأنتروبولوجيا، حيث أصبحت لديهم طرق عديدة للحصول على البيانات والمعطيات الميدانية، ومن هذه الأدوات نجد المسح ، المقابلة بمختلف أنواعها، الملاحظة بمختلف أنواعها أيضا، وأصبحت الأنتروبولوجيا تستخدم أكثر من مقياس، وأكثر من طريق للملاحظة عند دراسة الظاهر الاجتماعية

والثقافات المختلفة، وهـذا مـا يعـبر عنـه بالبحـث المتعـدد الوسـائل فالباحث الأنتروبولوجي يحتاج إلى عدد من أدوات البحـث المتعـددة حتى يتمكن من إجراء دراسته.

فيذكر بعض الابستيمولوجيين في مجال الأنتروبولوجيا المعرفية أنه يتوجب على كل باحث أنتروبولوجي أن يكون منتبها إلى إمكانيـة إيجاد وسائل جديدة للملاحظـة يـدعم بهـا الوسـائل التقليديـة، وفي الغالـب مـا تكـون الوسـائل الجديـدة للدراسـة الحقليـة تحـسينات وتعديلات لواحد أو أكثر مـن الوسـائل التقليديـة، وفي كـل دراسـة حقلية يعمل الباحث على تكييـف الوسـائل وفقـا لمتطلبـات المـسح الثقافي فليس ثمة وسائل جاهزة.(3)

وإذا كانت الدراسات الأنتروبولوجية تشترك مع بعض فروع العلوم الاجتماعية والإنـسانية في العديـد مـن أدوات ووسـائل جمـع البيانات، غير أن البحث الأنتروبولوجي له بعـض الأدوات الخاصـة التي تضفي عليه ميزات خاصة به ومن أبرز هذه الأدوات نجد:

1- الملاحظة بالمشاركة:

تعتـبر الملاحظـة بالمـشاركة الوسـيلة الأساسـية في العمـل الميداني، وكثيرا ما يعول عليهـا الباحـث في اختبـار البيانـات الـتي يستخلصها بواسطة بعـض الوسـائل الأخـرى، وتعـبير الملاحظـة

بالمشاركة يتضمن فكرتين أقام عليهما بعض الباحثين موقفا ذا طرفين أحدهما يمثل الاندماج في المشاركة، والثاني يمثل التركيز على الملاحظة، والمهم هنا أن هذا التقابل بين المشاركة الخالصة، وبين الملاحظة الخالصة يماثل التقابل بين موقفي الاستغراق والانفصال اللذين يشار إليهما في الدراسة الحقلية الأنثربولوجية كعملية ضرورية يقوم بها الباحث حتى يتمكن من فهم ما حوله وتسجيل ملاحظاته وتحليلاته عليه بعد ذلك.(4)

الملاحظ يتوجه إلى ميدان بحثه لدراسة فريق طبيعي " ثلة من الشباب، مدرسة، مؤسسة، مدينة" . يلاحظ ما يجري، ويسأل الإخباريين، ويحاول توثيق أقوالهم بالأدلة، والملاحظة قد تكون خارجية،أو ملاحظة بالمشاركة، والملاحظ الخارجي يرصد العناصر المدروسة كلا على حدى، جاعلا من نفسه غير منتبه إليه، كأن يجلس في عمق قسم ويقوم بهذا النوع من الملاحظة بطريقة منتظمة من خلال برنامج مسطر مسبقا، والذي يقوم بجرد ما سيخضع للرصد وما ستتم ملاحظته، لكن بالمقابل يستطيع إضافة إلى ذلك أن يأخذ على عاتقه بأن يحاول فهم حياة مجموعة ما بشكل عميق، حيث يندمج في هذه المجموعة مشاركا في أنشطتهم، حريصا على عدم إبراز غرضه، كما يمكن أن يظهر الباحث هويته، فالأنثروبولوجيون مثلا يحاولون جعل أنفسهم مقبولين في

المجتمعات التي يدرسونها.فهناك الكثير من الباحثين عايشوا حياة المؤسسة بشكل لصيق، أو حياة مستشفى، أو حياة مدينة [5]

وهناك من الباحثين من ينظر للملاحظة بالمشاركة على أنها الطريقة التي يتبعها الباحث الأنثربولوجي، وذلك من خلال القيام والمشاركة بالأعمال التي تقوم بها الجماعة المدروسة، بغية التقرب منها والحصول على ودها، ومن ثمة إمكانية الوصول إلى أدق التفاصيل المتعلقة بالجماعة المدروسة، وغالبا ما يشترك الباحث في ممارسة مختلف الطقوس الدينية والاجتماعية، أو بعض المناشط الصناعية والحرفية، أو الزراعية... سواء أكانت فردية أم جماعية.

ويرى بعض علماء الأنثربولوجيا أنه لا يمكن دراسة المجموعات البشرية إلا بالاتصال بهم، الأمر الذي يستوجب مشاركتهم العيش بصورة دائمة ومستمرة طيلة فترة الدراسة، وهذا ما أكده كل من كلود ليفي ستروس Claud Levi-Strauss ولينهاردت Leenhardt.[6]

ومع الحضور والمشاركة المستمرة لأفراد مجتمع البحث، يمكن التركيز على السمع والنظر، اللذان لا يمكن الفصل بينهما في أثناء القيام بجمع البيانات والمعطيات الميدانية.[7]

وفي إطار الملاحظة هناك من صنف الملاحظة في البحث الأنتروبولوجي الى نوعين ملاحظة كيفية وملاحظة كمية، وفيما يلي تفصيل ذلك:

2- الملاحظة الكيفية والملاحظة الكمية.

الملاحظة الكيفية هي ذلك النوع من الملاحظة الذي يرتبط بالنزعة الإنسانية التي سيطرت على الأنتروبولوجيا لفترة طويلة، وأثناء هذه المرحلة كان الباحث الأنتروبولوجي ينفر من استخدام الأساليب الكمية، كما كان ينفر من استخدام الاستبيان، فكانت من المآخذ التي تؤخذ على البحث الأنتروبولوجي في هذه المرحلة هو استخدام الأرقام والإحصاءات، والسبب في ذلك هو التصور الذي كان سائدا آنذاك حيث كان ينظر إلى دور علم الأنتروبولوجيا أنه يتمثل في دراسة الظواهر الاجتماعية، والعمل للكشف عن الجانب الكيفي في العمليات السياسية والاقتصادية التي تتناولها العلوم الأخرى بشكل تجريدي.

ولكن في مراحل لاحقة نادى الكثير من علماء الأنتروبولوجيا بضرورة الجمع بين النوعين من الملاحظة، والدافع في هذا كما يذكر عالم الأنتروبولوجيا العربي أحمد أبو زيد هو أن :"السلوك الإنساني يمدنا بفئتين من المعلومات أو الحقائق: حقائق

لها دلالات كمية تشير إلى الحجم، وهناك فئة أخرى من الحقائق ذات الدلالات الكيفية التي تحتاج إلى مجرد الوصف والتفسير، ولكن في الواقع أن هذا التمييز تعسفي إلى حد كبير، لأن كل الحقائق الاجتماعية وكذلك العلاقات التي تقوم بينها لها كلا المظهرين الكيفي والكمي" (8)

3- الملاحظة الكمية وتوظيف الإحصاء في الدراسات الأنتروبولوجية:

إذا كانت العلوم الاجتماعية في العالم كله في السنوات الأخيرة قد اتجهت إلى استخدام أدوات جديدة ومناهج جديدة، بل وتساؤلات جديدة تختلف في جوهرها عن تلك التي كانت مطروحة من قبل، ومن أبرز فروع الأنتروبولوجيا التي تعتمد على الملاحظة الكمية بصورة أكبر نجد: أنثربولوجيا التنمية، الأنتروبولوجيا الاقتصادية، أنتربولوجيا التغذية، موضوعات التغير الاجتماعي والثقافي، الأنثربولوجيا السيكولوجية، والمنهج الكمي في هذا المجال يسمح باختبار فروض محددة إحصائيا، ويمكن الباحث من القيام بمقاربات دقيقة بين مختلف الثقافات على أساس كمي.

4- الاستعانة بالإخباريين:

وهم أولئك الأشخاص الذين تسمون بمجموعة من المواصفات التي تميزهم داخل مجتمعهم المحلي، وقبل الاعتماد عليهم والاتصال بهم من قبل الباحث الأنثربولوجي، هناك مجموعة من الشروط والمواصفات التي يتبعها ويلتزم بها عند تحديدهم واختيارهم أثناء إجراء الدراسة الحقلية، وهؤلاء الإخباريين يقدمون عونا كبيرا للباحثين، حيث يمكننا القول أن الإخباري يمثل مصدر للمعلومات عن الثقافة أو المجتمع محل الدراسة، ذلك أن الكثير من المواصفات، والخصائص، والوقائع، والعناصر الثقافية قد أعيد بناؤها من خلال تقارير الإخباريين عما كانت عليه في زمن مضى، خصوصا في المجتمعات التي تفتقر إلى سجلات ومدونات مكتوبة. كما يستفيد الباحث من الإخباريين لما يعمل على فهم ثقافة المجتمع المدروس من وجهة نظر أهالي مجتمع البحث، ذلك أن هذا يوفر الكثير من الموضوعية في نتائج الدراسة

5- منهج رؤى العالم في الدراسات الأنثربولوجية:

تعود البدايات الأولى لظهور فكرة منهج رؤى العالم إلى بداية منتصف القرن الماضي، حيث كان في البداية الاهتمام منصبا

على دراسة التطور الثقافي، والتغير الاجتماعي الثقافي الذي تحدثه الثقافة التي تؤمن بها الجماعة من خلال الانتقال من حالة اجتماعية وثقافية إلى حالة أخرى.

وللتوضيح أكثر يمكننا القول أن منهج رؤى العالم في الدراسات الأنتروبولوجية هو ذلك المنهج الذي يعتمده الباحث الأنتروبولوجي من أجل الوقوف على الذات والآخر، ويعد من المناهج الهامة في مجال دراسة الثقافات المختلفة، ويذكر بعض علماء المنهجية أن منهج رؤى العالم هو ذلك المنهج الذي يعتمد على إحدى المفهومات في مجال الدراسة الخاصة بعلم الإنسان الثقافي حيث يستخدم في التمييز بين الثقافات المختلفة ومقارنتها بالثقافات الأخرى، كما يهتم هذا المنهج بالأفكار التي يعتنقها الأفراد ضمن الجماعة، والرؤى والنظرة السائدة لدى هذه الجماعة في نظرتها لذاتها وللعالم من حولها، ونظرتها للآخر.

ويذكر بعض الأنتروبولوجيين أن هذا المنهج يهتم اهتماما بسيطا بالنظريات الخاصة بعلم الإنسان إلا أنه يهتم اهتماما خاصا بالجوانب المعرفية والإدراكية لهذه الأفكار والمعتقدات والاتجاهات ويعطيها جل اهتمامه كما وأن النظرة للعالم لا تكون منفصلة عن

الجوانب الذاتية والمعيارية للجماعة، ومن هنا يحدث خلط بين هذه المفهومات مثل الأخلاق والقيم وأنماط التفكير والشخصية القومية، وحتى الثقافة نفسها[9]

ومن أبرز العوامل التي ترتبط بمصطلح رؤى العالم نذكر:

- الطبيعة الإنسانية.
- الطبقات والمستويات الإنسانية.
- الوجود.
- الذات وموقفها من الطبيعة.
- تحديد الذات والحديث عن تحديد الآخر.

ومن أبرز الموضوعات التي تهتم بها دراسات رؤى العالم نذكر:

- الاشتغال على المبادئ المجردة التي لها تحكم في تشكيل النسق القيمي، هذا الأخير الذي يؤدي دور توجيه اختيارات الفرد ونوعية علاقاته مع الآخرين.
- الاهتمام بأنماط التفكير والقواعد والمبادئ الذهنية التي تصدر من الأفراد.

- الـرؤى والنظـرة المـستقبلية للـشخص علـى اعتبـار أن المستقبل هو امتداد للماضي وسرد للحاضر وأنـه الواقـع الـذي لم يتحقق بعد.

- نظرة الشخص إلى الذات والى الناس أو الآخرين وتقويمه لهم.[10]

يتضح من كل ما سـبق أن مـنهج رؤى العـالم يعـني النظـرة الداخلية لأية جماعة ثقافية، وأن هذه الدراسات هي دراسات كلية، تهدف إلى الإحاطة بكل أبعاد العالم ولكن من وجهة نظر الشخص أو الذات وليس من وجهة نظر الباحث، كما أن معظـم دراسـات رؤية العالم تدور حول شـخص واحـد أو حـول عـدد محـدد مـن الأشخاص الذين ينتمون إلى الجماعة التي يقوم بدراستها، كما وأن الدراسـات الخاصـة" بـرؤى العـالم" يـتم التركيـز عليهـا لمعرفـة الأحداث التي تدور حوله كما تهتم أيضا بنظرته إلى الآخر. [11]

6- مدخل تاريخ الحياة:

حيث يقوم الباحث بجمع مادة تاريخ الحياة عادة في محاولـة لـربط تجريـدات الوصـف الاثنـوغرافي بحيـاة الأفـراد في المجتمـع وأوضح بعض الأنثربولوجيين أنه يجب أن تكون عناصر الـسلوك

المدروسة-تاريخيا- ذات دلالة اجتماعية، ويجب الاهتمام بدور الأسرة في نقل المعايير الثقافية خلال عملية التنشئة الاجتماعية، كما يجب الاهتمام بمراحل النمو المختلفة للحالة، وإبراز المواقف الاجتماعية الهامة في كل مرحلة.

وإذا كان اعتماد مدخل تاريخ الحياة يسهم إسهاما مباشرا في إتاحة الفرصة أمام الباحث الاجتماعي لكي يفهم العمليات الحاسمة في تاريخ حياة الحالة موضوع الدراسة:﴿ فانه إذا أمكن استخدام طريقة تاريخ الحياة استخداما سليما لأصبحت من أجدى طرق البحث الاجتماعي في قدرتها على تمكين الباحث الاجتماعي على حسن المشاهدة وعمق التحليل، والموضوع الذي تتخذه طريقة تاريخ الحياة مجالا لها هو صياغة مجموعة من التفسيرات التي تعكس الخبرة الذاتية للفرد أو للجماعة إزاء مجموعة من الوقائع والأحداث التي تحدد الطريقة التي أصبح الفرد بمقتضاها عضوا في تنظيم أو في جماعة." .[12]

وإذا كان الاعتراض القائل بأن بيانات تاريخ الحياة لا يمكن اختبارها بواسطة الملاحظات الموضوعية للسلوك الحقيقي، فيمكننا القول أن الاهتمامات الرئيسية للبحث الأنتروبولوجي هي تنميط

معتقدات الناس وتصور الأحداث الماضية وليس مجرد البحث عن صحة أو كذب تلك التقارير، ومن وجهة النظر هذه فان مادة تاريخ الحياة تكون أكثر صدق لفحص أنماط القيم العامة وتصور العلاقات الاجتماعية أكثر مما تكون تاريخا حقيقيا.

7- مدخل قصة الحياة:

يرتبط بمدخل تاريخ الحياة مدخل آخر هو مدخل قصص الحياة، وهناك اتجاهان محددان في مدخل قصص الحياة هما:

- **الاتجاه الأول:** يركز على الرموز الاجتماعية، والمعاني المرتبطة بها، وفي ضوء هذا الاتجاه فان طريقة جمع وتحليل قصص الحياة تتمثل في المقابلة الشفهية والسير الذاتية.

- **الاتجاه الثاني:** وهو الاتجاه الذي ينظر إلى من تتم مقابلتهم باعتبارهم إخباريين في عملية الوصف الاثنوغرافي، واستخدام قصص الحياة لا يقتصر على علم الأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع فقط، بل تستخدم أيضا في مجال التاريخ واللغويات وعلم النفس.

رابعا:المنهج في البحوث الأنثروبولوجية في ضوء نظم المعلومات وتكنولوجيا الاتصال المعاصرة

نظرا للتقدم الهائل والسريع الذي حققته البشرية في مجال تكنولوجيا الاتصال ونظم المعلومات وحدوث" الثورة المعلوماتية" ، صار الإنسان يعيش ما يسمى بعصر المعلوماتية، وإذا كانت العلوم الطبيعية بشتى فروعها المختلفة قد استفادت من التطور التكنولوجي بمختلف أنواعه، وحققت انجازات واضحة، فان العلوم الاجتماعية قد نالت ونالها شيء منه أيضا، ويبرز هذا في العديد من الجوانب نذكر منها:

أ- مرحلة تسجيل موضوع البحث:

وذلك من خلال اطمئنان الباحث إلى أن الموضوع المراد تسجيله ليس من قبل الموضوعات البحثية المكررة، وقد يكون موضوعه المسجل من الجدة بمكان أي لم يسبقه إليه الآخرون.

ب- مرحلة المسح والإعداد النظري:

فقد أصبح بمقدور الباحث أن يتحصل على قوائم بيبلوغرافية رقمية بالأبحاث والمؤلفات المنشورة في المجال الذي

يبحث فيه، كما بإمكانه أن يحصل ما يشاء من المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث، وهذا ما يوفر الجهد والوقت للقيام بقراءة المادة العلمية المتاحة ومناقشتها، وتوظيف ذلك لخدمة العمل الميداني، من خلال التركيز على جمع المادة الحقلية وتصنيفها وتحليلها من أجل الوصول إلى نتائج دقيقة.

ج- في مرحلة الدراسة الحقلية:

وهذا هو مرادنا ففي هذه النقطة حيث نلاحظ أن وسائل جمع المادة العلمية قد عرفت تطورا كبيرا، خاصة ما تعلق منها بأجهزة التصوير الفوتوغرافي، والفيديو، التصوير السينمائي، وأجهزة التسجيل الصوتي، واستخدام هذه الوسائل يتطلب اكتساب مهارات فنية متخصصة.

وهذا ما يستوجب علينا في أقسام الدراسات الاجتماعية أن ندرج هذا الأمر ضمن اللوائح والبرامج تحت مسمى المقاييس التكنولوجية أو مقاييس الإعلام الآلي والتكنولوجيا أو ضمن مقياس تقنيات البحث الأنتروبولوجي الميداني، وذلك من أجل تدريب الباحثين على امتلاك هذه المهارات وتعلم أساليب حفظ وعرض المادة الميدانية باستخدام الحاسب الآلي والوسائط المتعددة.

د- مرحلة إدخال المادة الحقلية ومعالجتها:

وذلك من خلال معالجة المادة الميدانية الكترونيا، والوقوف على أدق أشكال العلاقات والارتباطات بين عناصر المعطيات الميدانية وإبراز ما تتضمنه من دلالات، فهناك جيل متطور جدا من الحواسيب الآلية له سعة عالية بحيث يمكننا من استخدام برامج إحصائية متطورة مثل برنامج spss والأخذ بهذه التكنولوجيا المتطورة في الأبحاث الاجتماعية سيساعد الباحثين على تقديم إبداعات جديدة في مجال التحليلات العلمية للظواهر الاجتماعية.

هذا فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية عموما أما بالنسبة للبحث الأنتروبولوجي فيمكننا القول أن المادة الاثنوغرافية قد أصبح بالإمكان جمعها وتسجيلها ميدانيا بوسائل تكنولوجية متقدمة، وإدخاله في الحاسبات الآلية مع الحفاظ على خصائصها من حيث الشكل واللون، بل إن هذه المادة قد أصبح من السهل إدخالها إلى أجهزة الحاسوب حية بالصوت والصورة والحركة على هيئة شرائط فيديو وأفلام سينمائية متحركة وكمادة مختزنة في الحاسب، حيث أصبح بالإمكان معالجة هذه المادة وفقا لبرامج معينة تحدد طبيعة هذه المعالجة وأبعادها ومستوياتها، وقد يسترشد

الباحث في تصميمه لبرنامج المعالجة بالأبعاد الأربعة التي تكون في مجملها وحدة المنهج في الأنتربولوجيا الثقافية، وتتمثل هذه الأبعاد في البعد الزمني أو التاريخي، البعد المكاني أو الجغرافي، البعد السوسيولوجي، والبعد السيكولوجي أو النفسي.[13]

وما ينطبق على المادة الميدانية الخاصة بالثقافة في بعدها المادي فبالإمكان أن ينطبق على عناصر الثقافة في بعدها اللامادي.

ومن أبرز الإفادات التي حصلتها الدراسات الأنتروبولوجية من التطورات التكنولوجية الحديثة فبالإضافة إلى عملية الجمع، والإدخال والمعالجة للمعطيات الميدانية –كما ذكرنا آنفا– نجد الاستفادة من توظيف الآليات التكنولوجية للقيام بالأعمال الآتية:

- النقل والتبادل: أي تبادل المادة الحقلية بين العديد من الباحثين في جامعات مختلفة وحتى في بلدان مختلفة أيضا، حيث يمكن هذا من الاطلاع على الكثير من العناصر الثقافية الخاصة بشعوب العالم قاطبة.

- إجراء التحليل المقارن: ذلك أن المقارنة من المعالم البارزة في المنهج الاثنوغرافي، حيث يتمكن الباحث الأنتروبولوجي من

خلال المنهج المقارن من الوقوف على الأنماط الثقافية العامة التي تشترك فيها ثقافات الشعوب في إطار الثقافة الإنسانية العامة.

- التمكن من إنشاء أرشيفات وبنوك متطورة لحفظ عناصر ثقافة الإنسانية .

- هذا سيساعد بلا شك الباحثين خصوصا فيما يخص دراسة تاريخ الثقافة، التغير الثقافي، تحليل علاقات التفاعل والتأثير المتبادل بين الثقافات....

- الاستشراف: فما كان ينظر إليه في الزمن الماضي أنه من قبيل " بعيد المدى" ففي ظل التطور التكنولوجي أصبح عكس ذلك، فأصبح بالإمكان الاشتغال على الدراسات الاستشرافية من أجل نظرة واعية لأحداث المستقبل المتوقعة.

ومع هذه الآمال العريضة والتفاؤلات الواسعة هناك مجموعة من الأسئلة تطرح نفسها على واقع البحث الأنتروبولوجي في الجزائر نذكر منها:

- هل لدينا باحثين مختصين مدربين يجمعون بين التخصص الأنتروبولوجي والقدرة على توظيف تكنولوجيا الاتصال ونظم المعلومات، والقيام بإدخال ومعالجة وتبادل المادة الحقلية.

- هل توفرت لدينا على مستوى جامعاتنا بالخصوص البنية الأساسية المعلوماتية، وهل هي في متناول الطلاب الباحثين.

- هل المادة العلمية الأنتربولوجية متوفرة ومجموعة بحيث تسمح بإنشاء قواعد بيانات أو أرشيفات أو بنوك معلومات أنتروبولوجية.

- هل تحققت لدينا أدلة عمل حقلي أنثربولوجي لتنظيم عمليات الجمع الميداني وتوجيه الدراسات الحقلية وترشيد جهود الباحثين.

- هل هناك قدرة على ربط معاهدنا ومخابر البحث بشبكات المعلومات الدولية.

- هل يوجد دليل موحد للمفاهيم والمصطلحات الأنتروبولوجية خصوصا ما تعلق بثقافة المجتمع الجزائري، وذلك من أجل إيجاد إطار ومرجع لفهم وتحليل وتفسير العناصر الثقافية لمجتمعنا.

الخاتمة:

في ختام هذه المداخلة نأمل أننا حققنا هـدف الوصـول إلى إزالة بعض الرؤى والتصورات الكلاسيكية حول الموضوع والمنهج في البحث الأنثربولوجي، ذلك أن هذه الرؤى الكلاسـيكية كانـت مفيدة في حقبتها الزمنية، أما في وقتنا المعاصر فقد طـرأت تغـيرات كبيرة ليس في علم الأنثربولوجيا فحسب وإنما في سائر فروع العلوم الاجتماعية، وجاء التركيز على البحـث الأنثربولـوجي مـن أجـل إبراز التقدم الحاصل في هـذا المجـال خـصوصا مـا تعلـق بالمنـاهج والأدوات رغبة في إبراز ثرائها النفعي والتجريبي، وإيضاح آليـات النقد والتحليل الاجتماعي والثقافي.

قائمة المصادر والمراجع

1- Copet,Rougier,Elisabeth;Anthropologie inEncyclopédie universalis;paris 1987,p521

2- Ibid ,p498

3-Yvonne Darlington and Scott;qualitative research;in practice open university press philadelphia,2002p49

4– فتحية محمد إبراهيم وآخر: مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان " الأنثروبولوجيا" ، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، " د.ت" ، ص**185**.

[5]- Nicole Berthier: les techniques d`enquête en sciences sociales. Armand colin; VUEF, Paris, 2002, p13.

6-Muchielli Alex,Dictionnaire des méthodes qualitatives en sciences humaines et sociales,Edition Armand colin / Masson,Paris,1996,P 146.

7–Arborio Anne-Marie et Fournier Pierre, L`enquête et ses méthodes L`observation participante, Editions **Nathan** Université, collection 128, Paris,1999,P.45.

8– أحمد أبوزيد: المفهومات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط**8**، **1993**، ص**48**.

9– محمد عباس إبراهيم وآخر: المناهج الأنثربولوجية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، **2009**، ص**213**.

10– أحمد أبوزيد: رؤى العالم، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، **1990**، ص**88**،ص**89**.

11– محمد عباس إبراهيم وآخر: المناهج الأنثربولوجية،مرجع سابق،ص**215**.

12– محمد عارف: طريق الانحراف، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، **1996**، ص**15**.

13– محمد الجوهري:الأنثربولوجيا الثقافية، دار المعارف، القاهرة،" د.ت" ص**181**.